

٢ - الدوق دي لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

ولم تأبه لرغبات لاروشفوكو الذي أظهر الوفاء لها في ظروف كثيرة، وهو يقول في مذكراته عن ذلك: « قضيت عشرة أعوام في خدمتها، وخاطرت بثورتي وحرقتي في سبيل راحتها وحرمتي حتى قيل عني إنني شينها. وكثيراً ما قالت لي إنها لا تجد في البلاد مائة كفتي به على ما قدمت من معروف». ولكنها لما ملكت زمام الحكم نسيت قولها تمام النسيان

ولما بشى البلاد من وعودها، كونوا فيها بينهم جمعية سرية ترمى إلى القضاء على سلطان الوزير مازاران واختاروا الدوق دي بوفور رئيساً لهم. وانضم اليهم لاروشفوكو اسماً دون أن يوافق على سلوكهم وخطتهم، وأصبح البلاط حزين: حزب الوزير وحزب الدوق دي بوفور. ولأجل اكتساب عضد الملكة الوصية على العرش، تقدمت الجمعية إلى لاروشفوكو أن يرجو من الملكة إصدار العفو عن صديقتها الدوقة دي شفيرين حتى تعود إلى البلاد، فاطاع لاروشفوكو وما زال بالملكة حتى أجابت سؤاله وأمرت به بالذهاب إليها حاملاً هذا الخبر السار، ففرح وقال في نفسه « أجابت هذا الطلب، وستجيب دون شك مطالبى الأخرى »

أسرع إلى مقر الدوقة وأدلى إليها بما حدث في البلاط أثناء غيابها، ورجا منها أن تصبر على مازاران، فإن أرضى رغبتها وحقق آمالها تركته وشأنه، وإن أبى عليها ما يطلبان شاكرته ولكنها لم تكذباً أرض باريس حتى نسيت قول لاروشفوكو وحاولت عزل الوزير وإحلال أحد رجالها المسمى شاتونيف محله، وجمهرت برغبتها في رد القوة إلى الأثر العظيمة التي تجذب آراءها وترضى عن خطتها. وقبل أن تقدم على عمل جدي، افتضح أمر الجمعية وألقي القبض على رئيسها في ٢ سبتمبر عام ١٦٤٣ وحبس في فسنين، وأمرت الدوقة بالإقامة في تور. أما لاروشفوكو فلم يمس بسوء، وكل ما أصابه في هذه الحادثة أن الملكة أمرت بأن يعرض عن الدوقة ويخلص للوزير. ولكنه لم يذعن لأمرها ولم يحزن من وراء ذلك نفعا

واستمر في البلاط إلى عام ١٦٤٦ ككاتب النفس وسط مسرات البطانة ومرحبا، وسعى سعى المجد إلى الحصول على إحدى الرتب العسكرية التي رفض قبولها من ريشليو، ولكن سعيه لم يصب غير الفشل. فدفعه اليأس من بلوغ مقاصده إلى الاتصال بالدوقة دي لونجفيل التي تضمير العداوة للملكة. وهذه

أطاع الملكة مكرها، ثم عاد إلى (فرن) ينتظر تغير الحال ليحقق آماله الكثيرة. ومات ريشليو في عام ١٦٤٢، فتحفز لاروشفوكو للطالبة بشن عطفه على الملكة ومساعدته إياها. وزعم أنه كان يكره هذا الوزير الذي كسر شوكة النبلاء، فانه أنصفه في مذكراته فقال: « فجعت الدولة في هذا السياسي الكبير. كان عظيماً في مقاصده، ماهراً في إنفاذ خطته، وقد ضمن بأعماله المجيدة الخلود لذكره،

هذا الشاب الخيال الذي عرف ريشليو كيف يكبح جماحه دون أن يقسو عليه، أصبح أيام الوصاية على العرش يسمى وراء مصلحته الذاتية ليس غير.

الرجل الطموح

لما مات لويس الثالث عشر وأقيمت زوجته آن دوتريش وصية على ابنها لويس الرابع عشر، فرح الملتفون حولها وتطلعت نفوسهم إلى تحقيق مطامعهم على يديها. ورأت هي منهم ذلك فبادت عليهم بالوعد وتركتهم في آمالهم يعمون، ثم وضعت أزمة الدولة في يد الكاردينال مازاران صنيعة ريشليو عدو النبلاء والعظماء

المصور — ولكن هذا المسافر المتقل لن يتنوق طعموم اللذات.

الشاعر — كفى! لقد اعترفت بأن في الدنيا لذات...

وبدا المصور نهض من مكانه إلى درج رسونه بلمس منه كتاباً مخطوطاً باليا ثم عاد وقال: أما المناقشة على هذا النحو فلن تنفذ أبداً. لقد بسطت لك رأيي ولكنك تأبى إلا الزواج، فهذا كتاب خطته يد متزوج سعيد. لأبى أسرف الفنانين ودرس ما يكدبون من أسقام، ثم صور ذلك تصويراً طريفاً دقيقاً، ولم يطبعه بعد، فأقرأه بأمعان فهو رادك بلا ريب إلى جادة الصواب...

من (أزواج الفنانين) يتعرف محمد رويحي فيصلي

ولكن النبلاء تقدموا إلى الملكة أن تلغي هذه المزايا فألغتها في ١٠ أكتوبر عام ١٦٤٩. وفي ذلك اليوم كتب لاروشفوكو في كراسة يذم الوزير ويسخط عليه لأنه « قاوم طموحه مقاومة عنيفة » . وجعلته الأخيرة تدل على روح النبلاء في ذلك العصر ، وبقيت هذه الكراسة مبهولة من الناس حتى عثر بها فكتور كوزان (١) في أوراق كونورا (٢) ونشرها

ولما ضاق الوزير ذرعا بكونديه استعمل الخديعة حتى ألقي عليه القبض هو والدوق دي لونجفيل وقيد حريتهما في الهافر ، وخافت الدوقة دي لونجفيل أن تصير إلى مآصار إليه زوجها فهربت إلى هولانده بمساعدة لاروشفوكو

وفي ٥ فبراير ١٦٥٠ مات والد لاروشفوكو ، فاتخذ من إقامة المائيم ذريعة إلى جمع كثير من النبلاء والفلاحين والجياد (٧٠٠٠ نيل ، ٨٠٠ فلاح ، ٢٠٠٠ جراد خطيبهم واستوقد حماسهم لمحاربة جنود الملك . ولكن هؤلاء قهرروا رجاله وأهلكوا زرعه ودمروا قصره في (فرن) . ويقول أحد أصدقائه أن لاروشفوكو لما بلغه خبر الدمار الذي أصاب القصر التاقي بعظمة أجداده ، اعتقد أن الدوقة دي لونجفيل ستقدر له هذه التضحية في سبيلها حتى قديرها ، وبعد هذا الاعتقاد في نفسه سرورا كبيرا . وقبل انقضاء شهر فبراير بدأت الحال وأطلق سراح كونديه ومن معه ، وغادر مازاران البلاد حتى تسكن العاصفة

استرد كونديه حريته ولكنه أضمر الشر للوزير والملكة . ولما بلغ لويس الرابع عشر رشده في ٦ سبتمبر عام ١٦٥١ ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة فخمة : في قصر اللوفر لم يحضرها كونديه وأهوانه خشية أن تنال الملكة منهم مئالا . وعرفت أخته الدوقة دي لونجفيل ميله إلى إشعال نار الحرب الأهلية مرة ثانية ، فشجعت حتى سل سيقه في وجه الملك

حسن صادق

يتبع

(١) ١٦٠٣ - ١٦٧٥ . أديب فرنسي بروكساتي للنهب كان يجيد الإيطالية والإسبانية . ومن صالونه الأدبي ولدت فكرة الأكاديمية الفرنسية . ولما أنشئت عين كاتم سر دانا لما . قضى حياته في القراءة وكتابة مرسولات . وعند موته ترك منها ما يبلغ أربعين مجلدا حفظت كلها في مكتبة الأرسنال

(٢) ١٦٢٥ - ١٧٠١ شاعر فرنسي رفيق المعاطفة دقيق الحس ومؤلف مسرحي كثير التوفيق . وقد ظهرت له أول قصة تخيلية (هيبوليت) وهو في التاسعة عشرة من عمره . وفي عام ١٦٦٢ انتخب عضوا في مجمع العلماء ، ونقل إلياذة فليبوس الشاعر الروماني الأكبر إلى اللغة الفرنسية شعرا . وكان من أصدقائه لاروشفوكو الذين لازموه في شيخوخت

الدوقة كانت شديدة الكبرياء . مولاة بالمجون والاستتار ، وقيل إنها أحبت أخاها الدوق رانجان حبا فيه إثم كبير ، وإنها كانت ترى في هذا الحب البغيض طريقة تميزها من « القطيع الانساني » . ولم يحبها لاروشفوكو ، بل فصل بها وأظهر كلفه بها ليستخدمها في سبيل اغراضه . وهو لم يعرف الهوى المحرق كما تقول مدام دي سافنييه (١) وقد سمعه سجره (٢) يقول : « لم أعثر بالحب إلا في القمص الخيالية »

وفي أغسطس عام ١٦٤٨ ، قامت ثورة في باريس تعرف في تاريخ فرنسا باسم La Fronde (ومعناها لغة : النبلة التي يستعملها الصغار عندنا في صيد العصفور ، وكانت شائعة في فرنسا وقت قيام هذه الثورة فسميت باسم هذه اللعبة) ، ثم امتد الاضطراب إلى الريف ، وأشعل الفلاحون في (بواتو) نار الشغب . وكان لاروشفوكو قد حصل على حكمها بفضل مكانة أبيه ، فقمع هذا الشغب قبل أن يستفعل ، ونال بعمله هذا إعجاب الوزير مازاران . ولكنه كان يسعى إلى شيء آخر غير الإعجاب بعمله ، كان يرغب في الحصول على لقب دوقة لزوجته وعلى الاذن له بدخول قناه قصر اللوفر في عربة كآل روهان (وهم من سلالة ملوك بريطانيا) فلما خيب الوزير أمله ، انضم في الحال إلى الثائرين على الرغم من رأي والده واسرته ، وأسرع إلى باريس لمقابلة الدوقة دي لونجفيل التي أعدت خطة لاضرام نار حرب أهلية . وقد حاولت أن تضيء إليها أخاها الدوق رانجان الذي أصبح أمير كونديه بعد موت أبيه في عام ١٦٤٩ ، ولكنها أخفقت لأن الملكة غمرته بالنعم الجزيلة ثمنا لمساعدته إياها

أخذ كونديه بعضد الملكة وأهذه البلاط من الثائرين وأصبح صاحب الكلمة النافذة فيه ، فألحظ في طلب المال لنفسه والمزايا لأصدقائه ومن بينهم لاروشفوكو . وأجابه مازاران إلى ما طلب

(١) ١٦٢٦ - ١٦٩٦ أديبة فرنسية فرحة المزاج عفيفة الآثار واشتهرت في عالم الأدب برسائلها الممتعة والحبوب الشائنة التي . وكانت تعجب بلاروشفوكو وتحسن له الود

(٢) ١٧٩٢ - ١٨٦٧ فيلسوف فرنسي نابي الذكر . كان أستاذا للفلسفة في مدرسة المعلمين ثم في كلية الأدب في باريس . ووجه عنايته خاصة لدرس لفلسفة الألمانية وقات يته وبين هيجل وشلنجر صلات المودة . ونشر كتب ديكارت (١٨٢٦) ونقل إلى الفرنسية كتب أفلاطون وشرحا (١٣) مجلد ١٨٣٣ وهو زعيم مذهب نلسي يسر المذهب التقاد الذي يقصد به إلى مزج آراء ديكارت وآراء كانت والدرسة الأيقونية واستخلاص مذهب جديد من هذا المزيج . ولكن هذا المذهب مات مع صاحبه . وقد ترك مؤلفات قيمة في الفلسفة وتاريخها